الزاوية التجانية باب الخضراء تونس

الإمام الخطيب الحاج الحبيب بن حامد

آداب إسلامية

﴿ الخطبة الأولى ﴾

يوم الجمعة 5 رجب الفرد 1436 هـ / 24 أفريل 2015 م (أوّل مرّة)

الحمد لله،

الحمد لله الكبير المتعال خلق كلّ شيء فصوّره وأحسن خلقته ندبنا إلى التحلّي بمكارم الأخلاق وزكِيِّ الصّفات تكريما لنا بين الأنام.

ونشهد أنه الله صفاته كمال وأفعاله في منتهى الدقّة والكمال منزّه عن كلّ نقص في الذات والصفات والأفعال، ونشهد أن سيّدنا محمّدا عبده ورسوله المصطفى من بين الخلق المجبول على كمال الأخلاق والمعاني والصفات صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله أولى النهي وصحابته الأعزاء على الأعداء الأذلاء فيما بينهم الرحماء والتابعين لهم في الإيمان والخلق وحسن السمت[[1]](#footnote-1) والعزم واليقين.

في المنتقى شرح الموطأ : وَقَوْلُهُ : وَحُسْنُ السَّمْتِ يُرِيدُ الطَّرِيقَةَ وَالدِّينَ وَأَصْلُ السَّمْتِ الطَّرِيقُ.

من يطع الله ورسوله فقد رشد واهتدى ومن يعص الله ورسوله فقد غوى واعتدى.

عباد الله،

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[[2]](#footnote-2).

أيّها الإخوة،

الإيمان في قلب المؤمن هو داعيةٌ بنفسه إلى الخير إذا المؤمن تقيّد بداعي الإسلام وتحلّى جهده بما يدعو إليه من الخير لصلاح الدنيا والآخرة فهو المؤمن الكامل حقّا.

فالمؤمن لا يُعَدُّ مؤمناً والمسلم لا يعدّ مسلما إذا جعل من إيمانه جُنَّةٌ[[3]](#footnote-3) تبعده وتفصله عن الناس، فالمؤمن يتحرز عن مخالطتهم ومعاشرتهم ومساكنتهم، كذلك إسلامه إذا لم تتحمس له جوارحه وتتنور به بواطنه ويسلّم له قلبُهُ ولسانه ويسمو به فكره فهو المسلم في الظاهر ولكنه في السر والباطن بعيدا جدا عن روح الإسلام الذي هو إظهار لمعانيه لتحسين الأخلاق وتعديل السلوك وتكثير الآداب والتحبب إلى الإخوان من المسلمين بالمعاملة الحسنة الصادقة في القول والعمل والصنيع لأنه ليس مسلما لنفسه وحده وانما مسلم ليتعاون مع جماعة المسلمين حتى يُفني نفسه وكيانه في جماعتهم وحتى لا يحسب أن له حقا على أخيه المسلم لأن المسلم أخ المسلم أخوّة لَحَمتها العقيدةُ وسدَّاها الإيمان.

وحقّ الأخ على أخيه أن يلقاه بالبشاشة واللطف وأن يحسب نفسه كأنّه هو فمرآته هي مرآته فجلاؤها جلاؤه وتضبيبها تضبيبٌ لروحه ونفسه وخلقه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ « قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » [[4]](#footnote-4).

هذه الحقوق الست التي للمسلم على المسلم حقوق متقابلة تكشف لنا عما ذكرنا أن الإسلام روح ومظهر وعمل ومخبر.

فإذا شعر المسلم بأن إيمانه بالله وامتثاله لأوامره هو تربية وسياسة حكيمة من الله، وأنَّ توادَّ المسلمين وتحاببهم وتكاملهم لا يستقيم إلاّ بإتيان أمور وأفعال وأقوال من شأنها توحيد هذه الرابطة وتحسين علاقة المسلم بأخيه المسلم فقد سلك الطريق المستقيم المنجّي.

أوّل هذه الحقوق الواجبة (الحق يستعمل في معنى الواجب كما عليه جلّ العلماء والمراد به ما لا ينبغي تركه) :

**أوّلا السّلام** : في حالة التلاقي ويشعر الحديث أنّ البدء بالسلام واجب إلاّ أنّه المنقول الإبتداء بالسلام سنّة وردّه فرض والسلام إسم من أسماء الله تعالى فقولك لأخيك المسلم السلام عليكم فكأنك قلت له أنت في حفظ الله والله يصحبك والله معك ...

فإن كان المسلَّم عليه واحد وجب عليه الردّ عينا، وإن كان المسلَّم عليهم جماعة فالردّ فرض كفاية لحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **« يُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ, وَيُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ »**[[5]](#footnote-5)**،**

**ولحديث أيضا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «** يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ »[[6]](#footnote-6) متّفق عليه.

**ثاني الحقوق إجابة دعوته** : إذا دعاك فدعوة أخيك لك لتشاركه وتشاطره في أمر من أموره يسرّه واجب عليك يُستفاد ذلك من كلمة حقّ في الحديث التي تعني إجابتك له في كلّ دعوة يدعوك إليها ولو أنّ العلماء خصّصوها بإجابة دعوة الوليمة أو ما في حكمها من كلّ دعوة يقصد بها صاحبها تقديم طعام أو شراب لمن يلبون دعوته فرحا بنعمة حلَّت أو نقمة يرجو ثواب صبرها.

**ثالث الحقوق** : النصيحة له إذا طلب منك النصح لله في أمر دينه أو دنياه ولك علم بما طلب منك النصح فيه فيتأكّد عليك إذن تقديم النصيحة كما علّمك الله بلا غشّ ولا خذلان وفي الحديث دليل كذلك على وجوب نصح من استنصح. والنصيحة تبذل سواء لمن طلبها أو لمن لم يطلبها لأنها من الدلالة على الخير والأمر بالمعروف مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[[7]](#footnote-7) أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم. فالنصيحة إذن لله من حق المسلم على أخيه ويدخل فيها الدلالة والدعوة إلى دين الله لمن له علم ودراية وتقوى بما يجب.

**رابع الحقوق** : تشميت العاطس أي قولك له أي لمن عطس وقال الحمد لله، يرحمك الله وليرد هو عليك يهديكم الله ويصلح بالكم.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلْيَقُلْ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَيَقُولُ هُوَ يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ »[[8]](#footnote-8)، وفي لفظ البخاري « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ... ».

وللعُطاس آداب ومن آدابه أن يضع العاطس حين العُطاس كفيه على فيه ليحجب الرذاذ والنَّفَسَ المنبعثيْن مع قوّة العُطاس عن إيذاء غيره كما عليه أن يحاول جهده خفض صوته للعلّة المذكورة مصداقا لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ما أخرجه الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً « إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض بها صوته ». ومن آداب المشمّت أن يشمّت ثلاثا إذا تكرّر العطاس ولا يزيد على الثلاثة لما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً « إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا يشمت بعد ثلاث ».

**خامس الحقوق** : أن يعود أخاه المريض بأن يزوره بقصد الإطمئنان وإدخال الأنس عليه بملاطفته ومواساته. وعيادة المريض وزيارته واجبة كما جزم بذلك الإمام البخاري ووجوبها على الأعيان أي على كلّ واحد عَلِمَ بمرض صاحبه أن يسعى لعيادته إظهارا للرحمة والمواساة وهو أدب رفيع كريم يقوّي الإِصْرَةُ[[9]](#footnote-9) ويزيد في المودّة ويستدعي الحمد والشكر من المريض وتجوز عيادة كلّ مريض لك به معرفة أو صحبة ولو لم يكن مسلما لما ثبت أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عاد خادمه الذمّي وأسلم ببركته وزار عمه أبي طالب في مرضه.

**سادس الحقوق** : إذا مات أخوك المسلم فاحضر لتشييع جنازته وسر مع المشيعين لما فيه من ثواب عظيم ولما تتطلبه لحمة العقيدة والتعارف في الله فعن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ ؟ قَالَ مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ »[[10]](#footnote-10).

أما مغزى انتدابنا إلى مراعات هذا الخلق الكريم أي التحبّب لبعضنا والتودّد كلّ للآخر هو إبراز الفطرة الكامنة في كلّ إنسان خَلَقَهُ الله فسوّاه وهداه. هداه للخير لمعرفة طرقه وأساليبه ونهاه عن الشرّ وطرقه وأساليبه فبهذا الخلق الكريم تتقوّى فينا روح المحبّة والإصرة الجامعة للإنسان التي هي التعارف والتقارب لا التناكر والتباغض وحينما تتمكن في نفس الإنسان سماحة النفس ولين الخلق وطيب المعاشرة تنتفي الأنانية وحبّ الذات ويصير المسلم لا يرى لنفسه حقّا له على غيره فتتوحّد القلوب وتتعاطف الأجسام مع بعضها فلا تحبّ لنفسك خيرا إلاّ إذا آثرت به أخاك.

ومن هذا المغزى العظيم والخلق الكريم قال الله تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي بعضهم من بعض أي كلّ واحد وواحدة قائم بنفسه ويسعى لما فيه خير غيره يفرح لما يفرح أخاه ويحزن لما يحزنه ويبادر لإغاثته والذّود عن حياضه[[11]](#footnote-11) ودفع الأذى عنه بما يستطيع قال تعالى ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾[[12]](#footnote-12).

اللهمّ أدّ عنّا حقوق بعضنا وتجاوز عنّا إسرافنا في أمرنا ولا تؤاخذنا فيما أخطأنا أو نسينا وأدم علينا نعمة الإسلام وحققنا ظاهرا وباطنا بآدابه ومكارم أوصافه ومحاسن أخلاقه، ربّنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا واحسن مثوانا.

**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.**

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا تجتمعان في منافق : حسن سمت، و لا فقه في الدين » رواه الترمذي [↑](#footnote-ref-1)
2. سورة التوبة الآية 71 [↑](#footnote-ref-2)
3. جُنَّةُ : سُترَة ، كُلّ ما ستر أو وقي من سلاح وغيره الصَّوْمُ جُنَّةٌ (حديث) وقاية من الشَّهوات [↑](#footnote-ref-3)
4. أخرجه مسلم في صحيحه [↑](#footnote-ref-4)
5. **رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه** [↑](#footnote-ref-5)
6. أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب تسليم الراكب على الماشي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ [↑](#footnote-ref-6)
7. أخرجه الحاكم في المستدرك وأبي داود في سننه بَاب كَرَاهِيَةِ مَنْعِ الْعِلْمِ [↑](#footnote-ref-7)
8. أخرجه أبو داود في سننه بَاب مَا جَاءَ فِي تَشْمِيتِ الْعَاطِسِ [↑](#footnote-ref-8)
9. رابطة كالقرابة أو المصاهرة أو غيرهما [↑](#footnote-ref-9)
10. متفق عليه [↑](#footnote-ref-10)
11. ذَبَّ عَنْ حِيَاضِ الدِّينِ : دَافَعَ عَنْ قِيَمِهِ وَشَرِيعَتِهِ [↑](#footnote-ref-11)
12. سورة آل عمران الآية 103 [↑](#footnote-ref-12)